التجارة الخارجية لبلاد النهرين مع مصر وتأثيرها الحضاري منذ الألف الثاني حتى منتصف الألف الأول ق.م

الباحثة/ شان مسلم عودة فرج
باحثة ماجستير تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
Shano2020eldeeb@gmail.com

الملخص:

التجارة الخارجية لبلاد النهرين مع مصر وتأثيرها الحضاري منذ الألف الثاني حتى منتصف الألف الأول ق.م

ازدهر النشاط التجاري بين بلاد النهرين ومصر القديمة منذ الألف الثاني حتى منتصف الألف الأول قبل الميلاد، وتؤكد لنا مراسلات تل العمارنة التي كتبت باللغة المسمارية القديمة مدى عمق وتأثر مصر بحضارة بلاد النهرين، كما تدل أيضا على مدى حاجة ملوك بلاد النهرين للذهب والفضة الذي كان يرسله ملوك مصر لملوك بلاد النهرين، وكانت سورية بمثابة معبر لتجارة بلاد النهرين مع مصر، وشهدت أرضها على المعارك التي خاضها ملوك كلا الجانبين من أجل الحصول على السلع التجارية.

Summary

Commercial activity flourished between Mesopotamia and ancient Egypt from the second millennium until the middle of the first millennium BC, and the Tell el-Amarna correspondence, which was written in the ancient cuneiform language, confirms to us the depth and influence of Egypt on the Mesopotamian civilization, as well as the extent to which the kings of Mesopotamia needed the gold and silver that he was sending. The kings of Egypt belonged to the kings of Mesopotamia, and Syria was a crossing point for

the Mesopotamian trade with Egypt, and its land witnessed the battles fought by the kings of both sides in order to obtain commercial goods.

مظاهر التجارة بين بلاد النهرين ومصر منذ الألف الثاني حتى منتصف الألف الأول ق.م

تتمتع مصر بموقع جغرافي متميز عند ملتقى ثلاث قارات هي آسيا وإفريقيا وأوروبا، ولقد يسر لها هذا الموقع الفريد عملية التبادل التجاري والعلاقات خاصة مع بلاد النهرين، مما كان له أكبر الأثر في نقل المؤثرات الثقافية والحضارية بينهما[١]، ويمر عبر أراضيها نهر النيل العظيم شريان الحياة بالنسبة للمصريين الذي قامت على ضفتيه الحضارة، ولقد حباها الله بالحدود الطبيعية الآمنة، فالبحر المتوسط في الشمال والصحراء في الشرق والغرب والجنادل في الجنوب، وهي حدود حفظت لها أمنها واستقرارها[٢] (خريطة رقم١)، ولقد أفادت مصر من موقعها الجغرافي بين الشرق والغرب في كثير من أدوارها التاريخية، ولقد أدى هذا الموقع المتميز إلى وقوعها فريسة لتسلط الأمم الأخرى عليها في عصور ضعفها وانكماشها، بالإضافة إلى دخول العديد من الهجرات إليها ولكنها سرعان ما كانت تستعيد استقلالها وتستطيع صهر أي دخيل عليها في بوتقة حضارتها[٣].

ويتميز وادي النيل بأنه وادٍ ضيق عبارة عن هضبتان عاليتان من الشرق والغرب، وتستمر دلتا وادي النيل من وادي حلفا جنوبًا حتى البحر المتوسط شمالا حوالي ١٥٠٠كم، وتتصل بوادي النيل مجموعة وديان في الهضبة الشرقية تنحدر نحو النيل، والتي ساعدت على الاتصال عبر الهضبة الشرقية نحو السودان أو البحر الأحمر، والوادي هو السهل الرسوبي شديد الخصوبة الذي كان يكسوه نهر النيل بطميه عامًا تلو الآخر، ويسمى اليوم

بوادي النيل، ويجري في هذا الوادي نهر النيل الذي يأتيه من الحبشة والسودان ويتجه شمالًا مع الانحدار العام للأراضي المصرية، ويكون ثنية كبيرة عند إقليم "قنا"، وكان لموقعه المميز هذا دورًا كبيرًا في تاريخ مصر السياسي، ولقد ميّز نهر النيل مصر عن جيرانها حيث أنّ جريانه في أرضها خفف من مناخها الجاف واستخلصها إلى حد كبير من نطاقها الصحراوي العظيم الذي يحيط بها، وأدى ذلك إلى استقرار المصريين على ضفافه واستغلالها في الزراعة مما ساعد على سهولة الاتصال والترابط بينهم مما ساعد على ظهور أول وحدة سياسية كبيرة ومستقرة في التاريخ.[٤]

وكان الإله الخاص بنهر النيل يعرف باسم (حعبي، حعب أو حابي) ثم صار يلفظ في العصور المتأخرة بلفظة(هوفي أو حوفي) ولم يعرف معنى هذا الاسم المصري القديم حتى الآن، وكان لنهر النيل أثر عظيم في الحضارة المصرية حيث كان فيضان النهر سنويًا سببًا في تعلّم المصريين القدماء الإحصاء والهندسة والحساب والتقويم حيث بدأوا بمراقبة فيضان النهر وحاولوا التحكم بمياهه واستغلالها[٥]، وكان النيل هو وسيلة المواصلات الأسهل والأسرع في مصر، حيث تظهر أقدم التسجيلات المكتوبة استخدام قوارب ذات مجاديف عديدة استخدمها إنسان ما قبل الأسرات في نقل البضائع خاصة مواد البناء بالإضافة إلى منتجات الحضارة من أعلى الوادي لأسفله والعكس[٦]، واكتسبت مصر بامتدادها على طول سواحل البحر المتوسط والبحر الأحمر أهمية خاصة حيث سمح لها ذلك بالاتصال الحضاري مع مواطن الحضارات القديمة خاصة حضارة بلاد النهرين وبلاد سورية والتي لعبت دور الوسيط في بعض الأحيان بين بلاد النهرين ومصر[٧]، والصحراء الشرقية المعروفة بصحراء العرب يوجد بها سلسلة جبال جرانيتية موازية لشاطئ البحر الأحمر ويكثر بين صخورها الصلبة معدن الذهب ويوجد هذا المعدن في الصحراء نفسها في عدة

جهات بين النيل والبحر الأحمر وتكثر بها مختلف أنواع الأحجار مثل المرمر (الألباستر)، والبازلت، والجرانيت وغيرها من الصخور الصلبة النارية، ولذلك وجّه المصريون جهودهم إلى حفرها وكشفها[٨].

تعود الصلات التجارية بين بلاد النهرين ومصر القديمة إلى عصور ما قبل التاريخ، وتتضح الصلات التجارية بين بلاد النهرين ومصر في تلك العصور من خلال بعض النماذج التي عثر عليها في بعض المواقع المصرية، وتتمثل في مجموعة من الأواني الفخارية ذات الصنابير المائلة والأواني ذات الآذان المثلثة التي عثر عليها في موقعي مستجدة والبداري في مصر، وتنتمي تلك النماذج إلى عصر حضارة جمدة نصر في بلاد النهرين[٩].

أيضًا عثر على أربعة أختام اسطوانية في كل من جزرة ونجع الدير وهي تنتمي إلى عصر حضارة الوركاء وعصر حضارة جمدة نصر في بلاد النهرين، ولكن اختلفت أغراض استخدامها بين المصريين وسكان بلاد النهرين، حيث نجد أنّ المصريين قد استخدموا الاسطوانات لأغراض لا شبيه لها في بلاد النهرين فقد استخدمها المصريون كأختام تكتب عليها أسماء الموظفين وألقابهم وكذلك بعض أسماء الملوك، بينما كانت أختام بلاد النهرين تحمل رسومًا لا نقوشًا، كما أنّ الأختام المصرية كانت تصنع عادةً من الأحجار، والخزف، وغيرها[١٠].

كذلك وتتضح الصلات التجارية من خلال بعض نماذج التشابه الفني بين مصر وبلاد النهرين في هذه الفترة المبكرة من التاريخ حيث توجد بعض الأشكال الزخرفية والأساليب الفنية لبلاد النهرين على بعض الآثار المصرية، ويظهر لك واضحًا في نقوش يد سكين عثر عليها في جبل العركي بالقرب من نجع حمادي، وتظهر هذه النقوش رجل يفصل بين أسدين، ومثل هذا المشهد مألوف في بلاد النهرين ولكنه نادر الحدوث في الآثار المصرية، كما يظهر

ذلك أيضًا في نقوش لوحة الملك نعرمر الإردوازية التي نقش فيها حيوانان خرافيان مركبان، فقد يكون الجسد جسد أسد ولبؤة الرقبة رقبة ثعبان والرأس رأس فهد[١١]، ولكن كان تأثر مصر بهذه العناصر الفنية تأثرًا مؤقتًا إذ اختفى من مصر بعد بداية الأسرة الأولى.

ويرجح إمكانية قيام تجارة بحرية بين بلاد النهرين ومصر من الخليج الفارسي إلى ميناء مصري على شاطئ البحر الأحمر منذ فترة "نقادة الثانية" ٣٤٠٠ق.م، حيث وصلت البضائع إلى مصر العليا عن طريق "وادي الحمامات" وكان شعب مصر في فترة "نقادة الأولى" محدود، وكانت هناك علامات غامضة مع الخليج الفارسي والساحل الجنوبي لبلاد العرب، وأيضًا ميناء "القصير" يحتمل أنْ يكون هو ميناء الدخول إلى مصر، وأنّ معظم البضائع التجارية والمصنوعات الفنية من فترة "نقادة الثانية" اكتشفت في منطقة مجاورة "لوادي الحمامات"، وأن هذا الوادي كان مدخلًا لعدة قرى قريبة من النيل في مصر العليا، وكان ميناء "القصير" من أفضل الموانئ بتسهيلاته على طول السواحل الإفريقية والعربية، وظل المصريون يستخدمونه حتى بعد حكم الملك "إمنحوتب الثالث" (٢٠٠٠ق.م)[١٢].

وتدل الآثار المصرية وآثار بلاد النهرين على اتصال بلاد النهرين بمصر عن طريق البحر من الجنوب عن طريق سكان جنوب شبه الجزيرة العربية وهم ملاحون موهوبون، وكانت تبحر في البحر الأحمر سفن ترتفع مقدمتها ومؤخرتها وهي سفن معروفة في بلاد النهرين وحملت تلك السفن الوافدين من الجنوب ومن الشرق إلى مصر عبر طريق القصير وقفط، وترك هؤلاء القادمون رسومًا لسفنهم على صخور بعض دروب الصحراء الشرقية وعلى الكثير من الصخور المطلة على النيل، كما توّغل بعضهم حتى وصلوا إلى الصحراء الغربية وتركوا لنا صورًا على بعض صخور الدروب في الواحات

الخارجة، وعلى صخور دروب الغباري بين الخارجة والداخلة، إذ كانت هذه السفن في نظرهم رمزًا لحياتهم السابقة في موطنهم سواء في جنوب شبه الجزيرة أو في بلاد النهرين[١٣].

كانت العلاقات بين بلاد النهرين ومصر في عهد الملك حمورابي سلمية حيث كانت نقطة الاتصال التجاري بينهم عند مدن الساحل الفينيقي[١٤]، وكانت علاقات بلاد النهرين مع مصر في عهد الكاشيين تتسم بالود والصداقة ويتضح ذلك من خلال الرسائل المتبادلة بينهم حيث أرسل الملك الكشي "بورنابورياش الثاني"(١٣٧٥- ١٣٤٦ق.م) إلى فرعون مصر إخناتون(١٣٦٧- ١٣٥٠ق.م) حيث يقول له: "**إلى نفخوريريا ملك مصر، هكذا يقول "بورنابورياش" ملك بلاد بابل اخوك "إنني بخير، فعسى أن تكون أنت وبيتك وأزواجك وأولادك نبلاؤك وخيلك وعرباتك بأحسن حال"، حين عقد أبي وأبوك الصداقة ما بينهما كانا يتهاديان أثمن الهدايا، ولم يمنع أحدهما ما كان يطلبه الآخر مهما عز وغلا، والآن لقد أهدى إلى أخي "منين" من الذهب، فكم تمنيت لو أنك أرسلت إليّ ذهبا بقدر ما كان يرسله أبوك، وإذا كان لابد من تقليل المقدار، فأرسل إليّ نصف ما كان يرسله إليّ أبوك، فلم اقتصرت على إرسال "منين" من الذهب فقط؟ إنني الآن باذل جهدا كبيرا في بناء المعبد، وسوف أنجز العمل بدقة، فأرسل إليّ قدرا وافيا من الذهب، وإذا رغبت في شيء يوجد في بلادي مهما كان فابعث إليّ رسلك ليأتوك به، في عهد أبي "كوريكالزو" أرسل إليه الكنعانيون يقولون: لنذهب إلى مصر ولنغزها جميعا، وسوف نعقد معك حلفًا، أما أبي فقد أجاب على رسالتهم قائلا: ليكن الحلف ما بينكم، ولكن لتحذروا جانبي، إذ لما كان ملك مصر حليفي فمن ذا الذي يصدني عن غزوكم؟، وهكذا من أجل أبيك لم يسمع أبي قولهم، أما ما يخص بعض الآشوريين من أتباعي أفلم أخبرك برسالتي في شأنهم، فلِمَ**

دخلوا إلى بلادك؟ وبما أنك تحبني فيقيني أنك لن تدخل معهم في شيء(من التحالف) وأنك ستعمل على إحباط سعايتهم وجهودهم، وفي الختام لقد أرسلت إليك هدية: ثلاثة منات من حجر اللازورد وعشرة أفراس لخمس عربات"[١٥]، أيضًا وجدت رسائل أخرى بُعثت إلى فراعنة مصر قبل عهد "بورنابورياش الثاني" ومنهم "كدشمن- خربي" و"كدشمن- أنليل" وكذلك نُسخ من الرسائل المرسلة من البلاط المصري، ونجد أنّ الملك الكاشي البابلي عندما اضطرب الأمن بين الأموريين والكنعانيين في سورية خلال عهد إخناتون الذي أرسل له يستصرخه لتأمين تجارته ويقول له "**كنعان أرضك... وأمراؤها مواليك**" وأرسل مع رسالته هدية ثلاثة مينات من اللازورد وخمسة جياد وخمس عربات[١٦]، ويتضح لنا من هذه الرسائل أنها تؤكد على الصداقة بين بابل ومصر ورغبة ملوك الكشيين في المزيد من الهدايا من مصر ولاسيما الذهب لتزيين معابدهم وقصورهم ونسائهم ومقابل ذلك كان الملوك الكشيون يقدمون لملوك مصر حجر اللازورد والخيول والعربات، أيضًا تبادلوا الأميرات للزواج من كلا الطرفين، وعثر في سجلات العمارنة على أثبات وقوائم بالهدايا التي أرسلها فراعنة مصر إلى الملوك الكاشيين، والهدايا المرسلة من قبلهم إلى فراعنة مصر، ويتضح منها أن الكشيون هم الرابحون من ذلك، ويتضح من خلالها النشاط التجاري والتبادل التجاري الذي اتخذ شكل هدايا بالمقام الأول، وإرسال وانتظام طرق القوافل المارة من بلاد النهرين إلى مصر عبر فلسطين[١٧].

نجد أيضًا أنه في عهد الملك تحوتمس الثالث قدم إليه سفراء ملك بابل وخيتا الهدايا من فضة وأحجار كريمة وأخشاب نادرة، حيث أرسل الملك "بوزور آشور الثالث"(١٤٩٤- ١٤٨١ق.م) هدايا للفرعون "تحتمس الثالث" وهي عبارة عن "قطعة من اللازورد تزن عشرين دبنا وتسع قدات، وكذلك قطعتان أخرتان من اللازورد وقطع وزنها ثلاثون دبنا فيكون مجموعها خمسين دبنا، وتسع دات

(أي ما يعادل رطلا من اللازورد) وكذلك لازورد جميل من بابل وأوانٍ من آشور من حجر حرت الملون"[١٨] وفي عهد أمنحتب الثاني(١٤٥٠ق.م) قام بحملة إلى آسيا في العام التاسع من حكمه لتهدئة الأوضاع هناك، و تتحدث نصوصه عن هذه الحملة وأنّه عندما سمع كبير نهارينا وكبير خاتي وكبير سنجر بالنصر العظيم الذي أحرزه الملك تسابقوا على حمل الهدايا وحضروا ومعهم جزيتهم إلى قصر الملك[١٩].

ونعرف عن علاقة بلاد النهرين بمصر في عهد الملك الآشوري "آشور اوبلط الأول"(١٣٦٥- ١٣٣٠ق.م) من خلال رسالتين أرسلهم هذا الملك إلى الملك "أمنحتب الرابع" وجدتا في رسائل تل العمارنة، وتتضمن الرسالة الأولى "**إلى ملك مصر من "آشور أوبلط" ملك آشور أتمنى أن تكون أنت وبلدك وأهل بيتك وعرباتك وقوادك في أفضل حال، لقد أرسلت لك رسلي ليروكّ أنتَ وبلدك، لما كان أسلافي لا يراسلونك، الآن أرسل إليك عربة ممتازة وجوادين، وحجر من اللازورد النقي كهدية لكَ، والرسول الذي أرسلته لك أرجو أنْ ترحب به وتجعله يشاهد ويرى ما في بلدك لكي يتعلم ويعود إليّ**"، والرسالة الثانية تتضمن "**إلى نفخوريا الملك العظيم ملك مصر أخي من أشوراوبلط ملك آشور الملك المعظم أخوك تحية إلى أهل بيتك وبلدك، وبعد أن رأيت رسلك، كنت سعيدا جدا بحضورهم، والعربة الملكية الجميلة التي أرسلتها مع اثنين من الجياد البيض وأيضًا عربة وختم من اللازورد الجميل، تلك الأشياء التي أرسلتها كهدية لك، أيها الملك العظيم، إن الذهب كالتراب في بلدك وملئ العيون، وسأبني قصر جديد وسأشرع في الانتهاء منه وسيكون الذهب للزينة وضروري، وفي الوقت الذي كان فيه أبي"أشور نادين أخي" أرسل إلى مصر وأرسلتم إليه من قبل جدك عشرون تالنت من الذهب، وفي الوقت الذي كان ملك "خاني جلبات"(يقصد ملك الحيثيين) يطلب من أبوك في مصر أن يرسل**

له الذهب، حيث أرسل له عشرين تالنت من الذهب بالتأكيد إلى خاني جلبات، وأنت ترسل لي القليل من الذهب، الأن الذهاب والعودة بواسطة سفرائي ليس كافيا، وإذا كنت حقا صديقي أرسل إليّ الكثير من الذهب لأن هذه بلدك، واجعلهم يحضرون إليّ أي شيء من صحرائك، لأننا بلدين بعيدين، وعلاوة على ذلك فإن رسلنا سيقومون بهذه الرحلة؛ وهؤلاء الرسل الذين تأجلوا كانوا من "سوتو" ومسعاهم كأحد الأفراد فاقد الحس، ولماذا يتأخر رسلي ولماذا يبقون في أرض أجنبية ويموتون فيها، وإذا بقوا في بلاد أجنبية، من أجل منافع الملك، إذا يبقون في بلاد أجنبية ولا يكون موت، ولكن إذا لم يكن من بقاءهم فائدة، فيجب عليهم الموت في البلاد الأجنبية هؤلاء الذين ارسلهم، فليخضعوا إلى البلاد الأجنبية وليذبحوا"[٢٠].

أرسلت مصر الهدايا للملك "تجلات بلازر الأول"(١١١٢-١٠٧٤ق.م) اتقاء لِشرّه[٢١]، وبدأت بين بلاد النهرين ومصر في أواسط القرن الثامن قبل الميلاد مرحلة جديدة من العلاقات الحضارية والدبلوماسية ومنها أيضًا التنافس السياسي حتى وصلت إلى الصراع المسلح، حيث نجد أنّ الفرعون المصري "أوسكرن الثاني"(٨٥٦- ٨٣٨ق.م) يقدم الهدايا إلى الملك الآشوري "شلمنصر الثالث"(٨٥٩- ٨٢٩ق.م) بعد انتصاره على تحالف المدن السورية في معركة قرقر(٨٥٣ق.م)، وتكونت الهدايا من ناقتين ذات سنامين وفرس النهر واثنى عشر جوادًا من أفضل الجياد بمصر مؤكدًا بذلك صداقته إلى آشور[٢٢]، وقامت مصر في عهد الملك الآشوري سنحاريب بدعم ومساندة تمرد قامت به المدن السورية ضد الآشوريين ولكن تمكن سنحاريب من القضاء على هذا التحالف خاصة وأن استعداداتهم لم تكن كافية بالإضافة إلى تأّخر المصريين في الوصول إلى "اكرون" وكان شباكا أمير النوبة أرسل مدد إلى ملوك الدلتا ليقوي موقفهم ضد الآشوريين وتقابلوا في "التقة" أو "التاقو" ولكن لم

تستمر المعركة طويلًا، واستسلم معظم الجنود المصريون ومن بينهم قائد العربات المصري وبعض صغار الأمراء المصريين، بالإضافة إلى قائد عربات الملك "شباكا" وبعد المعركة سار سنحاريب إلى "اكرون" وعاقبَ قواد الثورة بقسوة حيث يذكر في نصوصه "**أنّ الموظفين والنبلاء وشعب "اكرون" الذين عزلوا "بادي" ملكهم والذي كان مواليًا لآشور وقيدوه بأغلال من حديد وسلموه إلى الملك "حزقيا" ملك يهوذا والي سجنه كعدو، وأصبحت قلوبهم خائفة وطلبوا المساعدة من ملك مصر من رماة سهام، وعربات وخيالة ملك "إثيوبيا" الذي جاء بجيش لا يحصى للمساعدة، واستعدوا للمعركة في مدينة "التقة" واستسلم لي قائد العربات المصري، والأمراء ومعهم قائد عربات ملك "إثيوبيا"(مصر) ووقعوا في يدي أحياء في وسط المعركة، وحاصرت "التقة" و"تمنا" وأخذت غنائمهما، وأبحرت بالقرب من "اكرون" ووضعت الحكام والأمراء والموظفين الذين تمردوا على الخوازيق حول المدينة، أما الذين ارتكبوا أخطاء صغيرة ضد آشور اعتبرتهم أسرى حرب...إلخ**"[٢٣] وتتضح نظرة سينحاريب عن مصر في الخطاب الذي وجّههُ إلى حزقيا يطالبه بالاستسلام ويقول فيه " **ما الإتكال الذي اتكلت؛ قلت إنما كلام الشفتين مشورة وبأس الحرب؛ والآن على من اتكلت حتى عصيت عليّ، فالآن هو ذا قد اتكلت على عكاز هذه القصبة المرضوضة، على مصر التي إذا توكأ أحد عليها دخلت في كفه وثقبتها، هكذا هو فرعون مصر لجميع المتكلين عليه**"[٢٤] وخلال هذه العمليات تحركت مصر في اتجاه "لاخشي" فزحف الآشوريون على الفرق المصرية فانسحب طهرقا عائدا إلى مصر وأيضًا تراجع سينحاريب ليواجه المشاكل التي حدثت في بابل"[٢٥]، وقام أسرحدون بالانتقام من مصر لتدخلها الدائم في شئون مستعمرات الآشوريين في سورية واستعد الملك طهراقا لمواجهته، وتوجه أسرحدون في عام ٦٧٥ق.م نحو مصر ووصل إلى شرق

الدلتا، ولكن المصريين استماتوا في الدفاع عن بلادهم حتى تمكنوا من هزيمة الآشوريين واضطر أسرحدون إلى العودة إلى بلاده وإعادة الاستعداد لفتح مصر، وتوجه مرة أخرى في عام ٦٧١ق.م ودخل منف واضطر طهراقا إلى الهرب نحو الجنوب، وقام أسرحدون بتنظيم الإدارة في الأقاليم وثبت بعض الحكام في أماكنهم واستبدل بعضهم بغيرهم من الوطنيين وعاد إلى بلاده[٢٦]، و يقول آسرحدون في إحدى نصوصه "**وفتحت مصر(موصيرو) والنوبة، وملكها "طهرقا" الذي جرحته خمس مرات بالسهام، وحكمت بلاده بالكامل، وحملت الكثير من الغنائم**"[٢٧]، أيضًا قام بترحيل مجموعات من الأطباء والبيطريين والسحرة والكتبة والموسيقيين، وصانعي النعال وصانعي الجعة والخبازين إلى عاصمته، ليستفيد من مهارتهم ويحرم المصريين من وسائل حضارتهم، ولكن سرعان ما ثار المصريين على الحكم الآشوري عام ٦٦٩ق.م واستعادوا سيطرتهم على البلاد بقيادة طهرقا الذي عزل كل من رضوا بولاية أسرحدون، وعندما عَلِمَ أسرحدون بذلك سارع بالخروج بجشيه نحو مصر ولكن وافته المنية في الطريق، وقام ابنه آشوربانيبال باستكمال تلك الحملة في عام ٦٦٦ق.م بعد أنْ اطمأن لاستقرار أموره الداخلية في بلاده، وأجبر في طريقه عددًا من أمراء الفرات وسورية وفلسطين على مصاحبته بقواتهم، وكانوا حوالى اثنين وعشرين ملكًا واستعان بخبراتهم الملاحية وهاجم مصر برًا وبحرًا، وتقابل بقواته مع طهرقا في معركة رهيبة انتصر فيها انسحب طهرقا إلى الجنوب واستولى الاشوريون على أساطيله النيلية المقاتلة وشجعهم ذلك على أنّ يستعينوا بأصحاب المهارة الملاحية من جند سورية رغبة في تتبعه حتى طيبة، وأعاد آشوربانيبال بعض الأمراء المصريين الخاضعين إلى إمارتهم الإقليمية واطمأن، إلى قوة سلطته[٢٨]، وقال في نصوصه: "**وهكذا استعدت الإشراف على مصر والنوبة، وزدت الحاميات عن ذي قبل، وجعلت تنظيمها أشد إحكاما وقوة،**

وعدت إلى نينوى سالما بكثير من الأسرى وبغنيمة طائلة"[٢٩] ولكنه طارد طهراقا في طيبة واحتلها وفر طهراقا إلى نباتا ولم يتبعه الآشوريون بل استقروا في الدلتا واكتفوا بالجزية من الصعيد، ولكن سرعان ما عادت حركات التحرر وأرسل الأمراء إلى طهراقا ولكن ثورتهم كُشفت وقبض على زعمائها وقتلوا جميعا في نينوى باستثناء نخاو أمير سايس الذي عفى عنه آشور بانيبال وقربه إليه وأعاده إلى إمارة سايس وعين ولده بسماتك أميرا على مدينة أتريب[٣٠]، وبعد استقرار الحكم الآشوري في الدلتا بشكل مؤقت نجد أن خليفة طهرقا وابن اخيه شباكا والمسمى ب"تانوت آمون" لبى دعوة أهل الصعيد وهب لتحرير مصر من الحكم الآشوري فقام بمحاصرة الحامية الآشورية في منف وسيطر على المدينة وأدبّ الأمراء الذين استكانوا لحكم الآشوريين ولكن سرعان ما عاد آشوربانبال بجيشه إلى مصر وانتصر على تانوت آمون الذي انسحب إلى الجنوب وتتبعه الآشوريون إلى طيبة ودخلوا المدينة ودمروها حوالي عام ٦٥٩ق.م رغم مقاومة أهلها ووالييها "منتومحات" وذكر في نصوصه أنه "**غنمت من طيبة غنائم تجل عن الحصر، ونزعت مسلتين ضخمتين من قاعدتيهما، وكانتا مغشيتين بالبرونز المذهب وتبلغ زنة كل منهما ٢٥٠تالنت، وأمرت بنقلهما إلى آشور**"[٣١]، واستطاع الملك بسماتك الأول الأسرة السادسة والعشرين من طرد الآشوريين من مصر، وبعد ذلك نجد أن الملك الآشوري "آشوربانيبال"(٦٦٩-٦٢٧ق.م) تحالف مع فرعون مصر "بسماتيك الأول"*(٦٦٣- ٦٠٩ق.م) ضمن من خلال ذلك التحالف اعتراف مصر بسيادة وزعامة الآشوريين على المدن السورية وفلسطين واعتمد الملك الآشوري لفظة الأخ في مخاطبته الرسمية لفرعون مصر، كما ضمنت آشور مساندة مصر وهذا ما كانت تنشده السياسة الآشورية تجاه وادي النيل، وفي هذا الجانب أيضًا تأتي معاهدة "آشوربانيبال" مع الفرعون المصري "نخاو" الذي أرسل حملة لمساعدة الآشوريين

ضد الجيش البابلي فتقدم بجيشه نحو بلاد النهرين وتمكّن من هزيمة الجيش اليهودي المحالف للبابليين وذلك في موقعه عند مجدو، وتابع "نخاو" مسيرته في أواسط سورية وشمالها وتمكن من هزيمة البابليين على ضفاف الفرات قرب قرقميش وبهذا استعاد الإشراف المصري على أجزاء واسعة من سورية[٣٢]، واستمرت العلاقات الدبلوماسية بين بلاد النهرين ومصر حتى آخر عهود الإمبراطورية الآشورية إذ في عهد آخر ملوكها "سين- شار- اشكين"(٦٣٧-٦١٣ق.م) عقدت مجموعة معاهدات سياسية والتي جاءت لتفادي خطر سقوط الدولة الآشورية وبعد أنْ بدأ الضعف يدب في أوصالها لجأت إلى التحالف مع حليف قوي يجنبها السقوط خاصة وأنّ القوى الدولية في الشرق الأدنى كانت تتحين فرصة سقوطها وكان الحليف الذي لجأت إليه هو الدولة المصرية التي رحبت بالتحالف مع آشور ولكن ذلك لم يمنع سقوط نينوى وذلك رُغم أنّ المصريون أرسلوا جيشًا إلى سوريا لمساعدة الجيش الآشوري، ثم أعقبه جيش آخر بقيادة الفرعون المصري "نخاو الثاني" غير أنّ الوقت كان متأخرًا إذ هرب الفرعون المصري أمام زحف الملك البابلي "نبوخذ نصر"[٣٣].

و اهتم الآشوريين بالتجارة وتأمين الطرق المؤدية إلى مواطن المواد الخام والمصنعة التي أصبح الطلب عليها كبيرًا ومتزايدًا لتغطية متطلبات حياة التطور التي شهدتها آشور خلال هذا العصر، وقد ارتبطت سيادة آشور الدولية بالدور الرئيسي الذي كانت تلعبه في ميدان التبادل الدولي وقد اتضح منذ البداية أنّ تقدم ذلك التبادل كان يعتمد كله على أحوال الانتاج في بلدان الشرق القديم وبصفة خاصة على درجة وطبيعة تعاونها في الميدان الاقتصادي٣٤، ففي العصر الآشوري الحديث تناقصت التجارة بسبب حصول بلاد آشور على احتياجاتها من المواد الأولية والبضائع المصنعة على هيئة جزية أو غنيمة نظرًا لامتداد الإمبراطورية الآشورية لمساحات واسعة وسيطرتها على المناطق

المجاورة ويتضح ذلك من المنحوتات الجدارية التي صورت مشاهد تسلم الملوك الجزية والهدايا من الشعوب الخاضعة لهم، ومشاهد أخرى تمثل حملاتهم العسكرية التي تبين حصولهم على الغنائم ولكن ذلك لا ينفي وجود تجارة خارجية في تلك الفترة، كما كانت مصر تنظم حركات مناهضة للنفوذ الآشوري في فلسطين وسوريا منذ عهد الملك الآشوري "تجلات بلازر الثالث" حتى عهد السلالة السرجونية بسبب التجارة بالدرجة الأولى فقد شكّلت الحملات العسكرية التي قادها "تجلات بلازر الثالث" على صعيد الجبهة الغربية في السيطرة على الساحل الفلسطيني وسيطرة الآشوريين على الطرق التجارية وتدخلهم بالطرق المصرية من خلال وضع قيود على تصدير الخشب إلى مصر من لبنان تمهيدًا لمصالحها التجارية مع مصر، وتؤكد تسجيلات الملوك الآشوريين لأعمالهم العسكرية أنّها لم تكن من أجل الحرب فقط وإنما من أجل استكشاف أسواق أو مواطن مصادر المواد الخام الأولية فيذكر الملك الآشوري "سرجون الثاني" (٧٢١- ٧٠٥ق.م) أنه فتح بلاد مصر المغلقة ليمزج شعبها مع شعب آشور سوية لتقوم وتزدهر التجارة حيث كانت مصدر للذهب والعاج إذ ذكر سرجون في أحد نصوصه :"**لقد فتحت ميناء مصر المسدود، وجمعت الآشوريين والمصريين سوية وجعلتهم يتاجرون فيما بينهم**"[٣٥]، ويتضح من هذا النص أن الهدف الآشوري كان تحرير التجارة الآشورية التي كانت ركنًا أساسيًا في اقتصاد الدولة الآشورية، واستمرت هذه العلاقات إلى أن بدأت السيطرة العسكرية عليها في زمن الملك الآشوري أسرحدون وابنه أشوربانيبال[٣٦]، ولعل هذا ما اثبته واقع الحياة التجارية اليومية في بلاد آشور كما يتضح من أحد النصوص الخاصة بقضايا المحاكم بشأن تجار المصريين من عهد الملك "آشوربانيبال" إذ تناول النص قضية مهاجمة خمسة رجال آشوريين مجرمين لتجار مصريين دخلوا بيت خكبي كضيوف أجانب: "**دخلوا تجار مصريين بين**

خكبي، المجموع خمس مجرمون الذين هاجموا التجار المصريين في بيت خبكي"، ونلاحظ في هذا النص أن استخدام عبارة (كضيوف أجانب) في وصف مجموعة من التجار المصريين في بلاد آشور توضح في مضمونها وجود علاقات تجارية مفتوحة بين كلا البلدين بلاد النهرين و مصر سواء كان ذلك على مستوى التجارة الدولية أو التجارة الشخصية، أما التجارة على صعيد واقع الحياة اليومية في بلاد آشور خلال العصر الآشوري الحديث فإن ما تم الكشف عنه حتى الآن بين أنقاض المدن الآشورية الرئيسية (نينوى وآشور وكلخ) من أعداد كثيرة من العقود والوثائق الاقتصادية المختلفة كعقود البيع بأنواعها والقروض والايجار والرهن والدين...الخ، وتعكس هذه الوثائق حجم التجارة التي كانت عليها بلاد آشور حينذاك، فنجد الدور البارز لأفراد المجتمع الآشوري في ممارسة الأعمال التجارية المتنوعة إذ تم الكشف عن الألاف من الوثائق الاقتصادية المختلفة في العواصم الآشورية تعكس حجم نشاطهم التجاري في عمليات البيع والرهن والإيجار.. الخ، ويتضح ذلك من عقد يتناول كتاب مصري شراء منزل في نينوى[٣٧].

احتد العداء والمنافسة بين بلاد النهرين ومصر في العصر البابلي الحديث(٦٢٦- ٥٣٩ق.م) من أجل السيطرة على سوريا لأهميتها الاقتصادية بالنسبة للدولتين وخاصة الدولة البابلية التي كانت بحاجة ماسة إلى المواد الخام (كالأخشاب، والأحجار والمعادن) الضرورية التي تستخدمها في مشاريع البناء العمرانية التي قام بها الملوك البابليين هذا فضلًا عن أن الميديين ومن بعدهم الأخمينيين قد أحكموا سيطرتهم على الطرق التجارية الواقعة في الجبهة الشمالية والشمالية الشرقية مما يعني حرمان الدولة البابلية من مصادر المواد الأولية التي كان يحصل عليها الملوك الآشوريون منها فيما مضى، لذا وجه الملك "نبوبلاصر" وابنه الملك "نبوخذ نصر" اهتمام إلى الجبهة الغربية(سوريا

وفلسطين والساحل اللبناني) لتعويض نقص المواد الأولية، فقام بتوجيه حملة بقيادة ابنه "نبوخذ نصر" لاسترجاع سورية وفلسطين من النفوذ المصري، حيث أنّ الملك المصري "نخاو الثاني"(٦١٠- ٥٩٥ق.م) تحرك بجيشه لنجدة الملك الآشوري، وفي طريقه إلى بلاد النهرين هزم الجيش اليهودي في موقعة عند "مجدو" واضطرت أورشليم إلى دفع الجزية وبعد ذلك تمكن "نخاو الثاني" من فرض سيطرته على فينيقيا وسورية وبلاد العرب الشمالية وأدوم التي دفعت له الجزية، ولذلك بعد عامين نجد أن "نابو بولاسر" بعد أن استقرت له الأمور في بلاد النهرين أرسل ابنه "نبوخذ نصر" لاستعادة سورية وفلسطين وتقابل مع الملك المصري عند قرقميش، وانسحب "نخاو الثاني" إلى وادي العريش بعد هزيمته على يد "نبوخذ نصر" الذي أكمل تقدمه حتى مصر ولكنه علم بوفاة والده فأسرع بالعودة إلى بابل حيث خلف والده على العرش [٣٨].

وفي عام ٦٠١ق.م قام "نبوخذ نصر" بجمع قواته وسار حول بلاد سورية بدون معارضة تُذكر تمهيدًا لشنّ حملته تجاه مصر، ويرجح أنّ سبب الحملة من أجل إيقاف التدخل المصري في شؤون المنطقة خاصة وأن مصر كانت هي المحرضة على تمرد عسقلان من خلال الرسالة التي عثر عليها في مصر[٣٩]، ونظرًا لأهمية بلاد سورية الاقتصادية بالنسبة للدولة البابلية فقد أراد "نبوخذ نصر" السيطرة على مصر ليضمن بذلك عدم تحريضها للدويلات في المدن السورية على التمرد والثورة على سلطان الدولة البابلية، وعلى أية حال فقد التقى الجيشان البابلي والمصري في معركة مفتوحة تكبد الطرفان منها خسائر فادحة فما كان من نبوخذ نصر وجيشه سوى العودة إلى بابل كما ذكر النص الآتي:" **السنة الرابعة حشد ملك أكد جيشه وسار إلى حاتي وسار حولها منتصرًا في شهر kislev انطلق بجيشه وقاده وسار إلى مصر وعندما سمع ملك مصر الخبر حشد جيشه وقاتل أحدهما الآخر في ساحة المعركة**

وكلا الجانبين عانى من خسائر فادحة التف ملك أكد وجيشه وعاد إلى بابل"[٤٠]، وفي عام ٦٠٠ق.م أعاد "نبوخذ نصر" تنظيم وتجهيز جيشه بالخيول والعربات بعد خسارته في العام الماضي مع الجيش المصري، الذي واجه المصير نفسه لأنه لم يحاول التقدم نحو آسيا، واكتفى بعمليات التجسس في الولايات البابلية[٤١].

وفي عهد خلفاء نبوخذ نصر كانت العلاقات بينهم وبين مصر طيبة وهادئة ولم تحدث بينهم أي مواجهات واستمرت العلاقات الطيبة حتى عهد آخر ملوك الدولة البابلية نبونئيد الذي شهدت مدة حكمه إقامة علاقات وطيدة وطيبة مع فرعون مصر "أحمس الثاني"(٥٧٠– ٥٢٦ق.م) إذ يذكر الملك نبونئيد بهذا الشأن أن ملك مصر مع ملك الميديين وبلاد العرب قد أرسلوا له الوفود من أجل إقامة علاقات طيبة كما ورد في النص الآتي: "**جعلت ملك مصر وعاصمة الميديين وبلاد العرب وكل الملوك المعادين يرسلون مبعوثيهم أمامي عارضين السلام والعلاقات الحسنة**"، وعندما توفيت والدة نبونئيد في عام ٥٤٧ق.م قام نبونئيد بتوجيه الدعوة إلى كل الملوك والأمراء والحكام من حدود مصر على البحر العلوي إلى البحر السفلي ليعلنوا الحداد ويشاركوا في المأتم إكرامًا للملك نبونئيد الذي كان يحظى باحترامهم الكبير وفي الحقيقة إنّ توجيه الدعوة إلى فرعون مصر يدل دلالة واضحة على مدى تحسن العلاقة بين الطرفين بعد أن كان يشوبها التوتر في عهد المك "نبوخذ نصر الثاني"، وقد توجت هذه العلاقات بعقد معاهدة دفاعية بين ملك بابل وفرعون مصر أحمس الثاني وكرويسوس(قارون) ملك ليديا* في آسيا الصغرى من أجل تشكيل جبهة لمواجهة أطماع كورش، ولكن سرعان ما تقدم كورش بجيشه تجاه ليديا واستولى عليها وقتل ملكها وترك حامية في المدينة، ولم يتدخل ملك بابل الذي كان ترك بابل لولده وأقام في تيماء وملك مصر لمساعدتها وفقًا للحلف المعقود بينهما

سلفًا، وبذلك أصبح الطريق ممهدًا لكورش من أجل احتلال بابل التي كانت تعاني من الفوضى والاضطرابات الداخلية التي عمت البلاد بسبب غياب نبونئيد عن العاصمة بابل، وتفاقم الأزمة الاقتصادية فسقطت بابل عام ٥٣٩ق.م وتم اعتقال نبونئيد فيها[٤٢]، ثم توجه كورش لاحتلال مصر ولكن سرعان ما تراجعت الجيوش الفارسية قبل أنّ تستولي عليها لوفاته، ولكن ابنه قمبيز أكمل غزو مصر وإخضاعها عام ٥٢٥ق.م[٤٣].

أهم السلع والمواد المتبادلة والتأثيرات الحضارية لعلاقات بلاد النهرين التجارية مع مصر

جلب ملوك بلاد النهرين أنواعًا من الأخشاب والسلع والمواد المختلفة وبخاصة من مصر[٤٤]، أيضًا يعد الذهب والفضة والبرونز والعاج والأثاث من خشب الأبنوس وغيره منْ أهم السلع التي حصل عليها ملوك بلاد النهرين من مصر، بالإضافة إلى الأقمشة والعطور والمحظيات البابليات كان لهم نصيب من المبادلات بين ملوك بلاد النهرين ومصر حيث اهتم الملوك المصريين بالحصول عليهم، كما حصلوا أيضًا من بلاد النهرين بجانب المحظيات على الخيل والعربات واللازورد من بابل[٤٥]، وربما كان ذلك على هيئة هدايا وجزى بين ملوك بلاد النهرين وملوك مصر، هذا وقد استورد الآشوريون الشب والنطرون من مصر حيث استخدموها كمواد مثبتة للألوان على خيوط الغزل والنسيج والملابس، كما استوردوا من مصر الصخور المنحوتة على شكل جعارين[٤٦].

١- الأدب

لقد أثرت بلاد النهرين في مصر في العديد من نواحي الحياة ومن هذه النواحي الأدب حيث تأثر الأدب المصري بأدب بلاد النهرين ويظهر ذلك

واضحا في اكتشاف نصوص مسمارية مدونة باللغة الأكدية في تل العمارنة*(مصر) وهي نسخة من القصة البابلية "ادبا"[٤٧]، وهي مدونة باللغة البابلية وتعد على قدر كبير من الأهمية بالنسبة إلى آراء القوم الذي فوت على نفسه وعلى البشرية فرصة الحصول على الخلود، وعُثر أيضًا في تل العمارنة على رقيم يتضمن الجزء الأكبر من القصة البابلية السومرية (ملك المعركة) والتي تتضمن استغاثة جماعة من التجار بالملك الأكدي سرجون لينقذهم من الظلم الذي لحق بهم على يد أحد الحكام المحليين اسمه "نور– دجال" والتي تذكر القصة أن الملك سرجون الأكدي استجاب لاستغاثتهم فعبر جبال اللازورد الشاهقة، والغابات الكثيفة وأنّه في النهاية أخضع الحاكم الظالم وأنصف التجار[٤٨].

من أهم الأدلة التي تؤكد على قوة وانتشار حضارة بلاد النهرين وتأثيرها في الحضارات الأخرى عن طريق العلاقات التجارية والسياسية، هي رسائل "تل العمارنة" التي اكتشفت في موقع العمارنة عاصمة الملك المصري "امنحتب الرابع"(إخناتون)، حيث عثر على مجموعة من الألواح الطينية وصل عددها إلى أكثر من ثلاثمائة لوح تمثل الرسائل الملكية التي كان قد استلمها كل من الملك المصري "امنحتب الثالث"(١٤٠٥– ١٣٦٧ق.م) وابنه "امنحتب الرابع"(إخناتون) (١٣٦٧– ١٣٥٠ق.م) من ملوك وحكام الشرق الأدنى القديم، وكانت جميع هذه الرسائل – باستثناء ثلاثة منها فقط– مدونة بالخط المسماري وباللغة الأكدية رُغم أنّ لغة كاتبيها ولغة المرسلة إليه لم تكن الأكدية ولم يكن الخط المسماري هو الخط المستخدم لديهم، مما يوضح أنّ اللغة الأكدية بخطها المسماري كانت لغة المراسلات الدبلوماسية في هذه الفترة مما يؤكد على مدى قوة وانتشار حضارة بلاد النهرين وتأثيرها على الحضارات المجاورة في هذه

الفترة، على الرغم من عدم وجود دولة قوية مركزية في بلاد النهرين تستطيع فرض استخدام لغتها في المخاطبات الرسمية بين حكام الدول الأخرى[٤٩].

٢- الأختام

تعد الأختام من أهم الأدلة على وجود تبادل تجاري بين بلاد النهرين ومصر القديمة، فقد عُثر على أختام أسطوانية يبدو من موادها وأشكالها بأنّها صُنعت في بلاد النهرين أثناء النصف الثاني من الفترة الشبيهة بالكتابية ولكنها وجدت في مصر، وتعود إلى نهاية فترة حضارة "جزرة" نقوشها متأثرة بحضارة "جمدة نصر" العراقية[٥٠].

كما عثر في مصر على معجم بكلمات مصرية وما يقابلها من معان باللغة الآشورية لا بد أنها تعود إلى تاجر آشوري جاء للتجارة في مصر،[٥١] ولقد شاع في بلاد النهرين تمثيل إله بهيئة آدمية داخل قرص الشمس وهو يسحب قوسه ليعاون الملك ضد أعدائه، كما انتشر أيضًا تزجيج قطع كبيرة من المنحوتات ونقل فنان بلاد النهرين هذه المظاهر من مصر حيث أنها كانت مألوفة في مصر[٥٢]، كما عثر على تمثال لأسد نقش عليه اسم أحد ملوك الهكسوس وهو الملك "خيان" عند أحد التجار في بلاد النهرين ويدل ذلك على أن العلاقات التجارية بين بلاد النهرين ومصر[٥٣].

وهناك أيضًا بعض العاجيات التي يتضح فيها تأثر بلاد النهرين بمصر حيث هناك الشاب الرائع المجنح وهي الصور الباقية لشخصين يراقبان ميلاد حورس وكذلك أبي الهول المجنح الذي يضع على رأسه التاج المصري العالي أي الصدر وحية اليورايوس وله جسد أسد مجنح وهي هلالية الشكل، وكانت هذه العاجيات جزءا من الجزية التي كان يدفعها طهراقا إلى الملك أسرحدون[٥٤].

كذلك اقتبست مصر من بلاد النهرين ظاهرة الفجوات المنتظمة في العمارة بالطوب كبناء الجدران ذات الفجوات الرأسية الطويلة، وهي الظاهرة التي ظهرت أول مرة في مصطبة نيت حتب بنقادة، ودليل ذلك أنه يمكن تتبع أصل هذه الظاهرة المعمارية في بلاد النهرين بينما لا يمكن تتبعها في مصر[٥٥]، وأيضًا ظهرت في الفن المصري تأثيرات أخرى مثل رسم سفن بلاد النهرين التي يرتفع كا من مؤخرتها ومقدمتها ارتفاعًا عموديًا، ورسم الحيوانات ذات الأجنحة، أو الحيوانات ذات الأعناق الطويلة التي تتقاطع مع بعضها أو الرسم السومري المشهور الذي يمثل محاربا بين أسدين[٥٦].

ويتضح أيضًا تأثير بلاد النهرين على مصر في الآلات الموسيقية حيث يشير الباحث الألماني "هو هيكمان"(H. Hickmann) إلى أن عددا من الآلات الموسيقي من الأقاليم الآسيوية أُدخل إلى مصر منذ عصر المملكة الحديثة (١٥٨٠- ١٠٩٠ق.م)، ومن ضمن هذه الآلات العود، وتثبت آثار بلاد النهرين أنّ أول استعمال لآلة العود كان في العصر الأكدي حوالي(٢٣٥٠ق.م) وذلك استنادًا إلى ختمين أسطوانيين موجودين بالمتحف البريطاني الآن، وانتشر العود في كافة أنحاء بلاد النهرين وأصبح الآلة المفضلة لدى البابليين والكاشيين والآشوريين[٥٧]، ونلاحظ أنّ العود الذي انتشر في بلاد النهرين منذ العصر الكاشي هو نفسه الذي اقتبسته مصر وانتشر فيها، حيث وجد في أحد قبور طيبة رقم ١٣٨٩ عود أصلي يعود إلى عصر الأسرة الثامنة عشر[٥٨] وهو موجود في متحف القاهرة تحت رقم(٦٩٤٢٠) صنع صندوقه الصوتي من ترس السلحفاة، وهو مكسو بجلد حيوان مصبوغ باللون الأحمر وفيه ستة ثقوب صغيرة تستعمل لتقوية الصوت ويبلغ طول رقبة هذا العود ٦٢سم وهو يحتوي على غزالة (الفرس) تمر فوقها الأوتار وقد عثر على المضراب الخشبي الصغير الذي يعود إلى هذا العود وهناك عود أصلي قديم

آخر يعود إلى عهد الملكة "حتشبسوت"(١٥٢٠- ١٤٨٤ق.م) عثر عليه في قبر أحد الموسيقيين بالقرب من دير البداري، أيضًا عثر على رسوم جدارية في عدد من القبور في طيبة تعود إلى عصر الأسرة الثامنة عشرة ومنها ما يعود إلى عهد "تحوتمس الرابع"(١٤٢٥- ١٤٠٥ق.م) تصور عازفين وعازفات على العود القديم ذي الرقبة الطويلة، و أيضًا اقتبست مصر من بلاد النهرين آلة الكِنارة* والتي ظهرت في مصر لأول مرة في عهد "امنمحات الثاني" (١٩٣٨- ١٩٠٤ق.م) حيث عثر على رسم جداري في قبر بالقرب من بني حسن في مصر الوسطى يصور أشخاصا ساميين- طبقًا للشعر واللباس وشكل الوجه- يعزف أحدهم على الكنارة وشكل هذه الكنارة يشبه تمامًا شكل الكنارة البابلية، ولقد استمر استعمال الكِنارة في مصر حتى عهد البطالمة وظلت تحتوي على عناصر رئيسية تشير بوضوح إلى الأصل العراقي لهذه الآلة مثل رأس الثور الموجود في أعلى الساق القريب من العازف وكذلك تثبيت الأوتار، أيضًا هناك العديد من الآلات الموسيقية التي أخذتها مصر عن بلاد النهرين كالجَنك*، وبالإضافة إلى الآلات الوترية هناك أيضًا الآلات الإيقاعية كالدف الذي يقول عنه العالم الألماني هيكمان أنّ مصر تدين بالفضل في معرفتها واستعمالها للدف المستدير إلى حضارات الشرق الأدنى القديم ولا سيما بلاد النهرين وأول ظهور للدف المستدير في مصر كان في عهد الفرعون "تحوتمس الثالث" (١٥٠٤- ١٤٥٠ق.م)[٥٩].

ويتضح لنا من منحوتة للملك الآشوري "آشوربانيبال" تصور إحدى معاركه مع بلاد عيلام يتضح من طريقة تصوير المعركة تشابهها مع المنحوتات المصرية التي تصور مواضيع المعارك الطاحنة في مدينة هابو وأبو سمبل من عهد رمسيس الثالث، وربما يعود ذلك إلى أنّ "آشوربانيبال" قد اصطحب معه في حملته الملحمية إلى مصر نحّاتين وفنّانين تأثروا بهذا

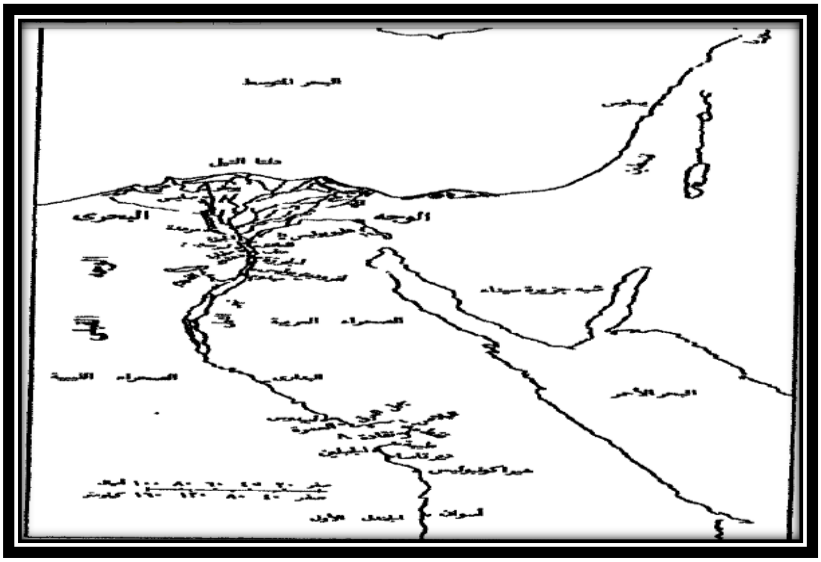

الأسلوب، فظهر ذلك على ألواحه في معركة نهر الكرخة ضد العيلاميين[٦٠]، ونلاحظ من كل ذلك مدى تأثير التجارة الخارجية لبلاد النهرين على مصر في جوانب متعددة.

(خريطة رقم ١) خريطة مصر راجع: سيريل الدريد: الحضارة المصرية القديمة من عصور ما قبل التاريخ حتى نهاية الدولة القديمة، ترجمة وتحقيق: مختار السويفي، ط٢، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٢م، ص١.

[١] احمد فخري: مصر الفرعونية موجز تاريخ مصر منذ أقدم العصور حتى عام ٣٣٢ قبل الميلاد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٢م، ص٢٧: ٢٨.

[٢] عبدالحليم نورالدين: فضل الحضارة المصرية على حضارات العالم، ص٢.

[٣] سليمان حزين: البيئة والإنسان والحضارة في وادي النيل مقال في مجلد تاريخ الحضارة المصرية، العصر الفرعوني، مكتبة النهضة المصرية، ص ١٨.

[٤] عبدالعزيز صالح: الشرق الأدنى القديم، ص١٠.

[٥] وسناء حسون يونس: أهم الخصائص الجغرافية لمصر القديم، مجلة تكريت للعلوم الإنسانية، مج١٨، عدد، أكتوبر ٢٠١٠م، ص٤٧٧.

[٦] أبوبكر مريقي: العوامل المؤثرة في العمارة في الحضارة المصرية القديمة، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، عدد٦، اكتوبر ٢٠١٧، ص٢٧٠.

[٧] عبدالحميد زايد: مصر الخالدة، القاهرة، ١٩٦٦، ص١٥.

[٨] هنري برستد: تاريخ مصر من أقدم العصور حتى الفتح الفارسي، ص٣.

[٩] احمد امين سليم: دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص٤٢.

[١٠] هنري فرانكفورت: فجر الحضارة في الشرق الأدنى القديم؛ ترجمة: ميخائيل خوري، ص١٠١.

[١١] احمد امين سليم: دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص٤٢.

[١٢] Adamson. P, B The possibility of sea trade between Mesopotamia and Egypt during the late predynastic period, Aula Orientals. Vol. x. spain. 1992. P175- 177.

[١٣] احمد فخري: الشرق القديم، ط٢، ص١٣٢: ١٣٣.

[١٤] طه باقر: علاقات العراق القديم، ص٩٠.

[١٥] طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات، ج١، ص٥٠٥: ٥٠٧.

[١٦] عبدالعزيز صالح: الشرق الأدنى القديم، ص٧٣٠.

[١٧] طه باقر: مقدمة، ص٥٠٧.

[١٨] سليم حسن: موسوعة مصر القديمة، ج٤، ص ٤١٤.

[١٩] رمضان عبده علي: تاريخ الشرق الأدنى القديم منذ فجر التاريخ، ج٢، ص٢٨

[٢٠] S, A, B, Mercer,. Tell ElAmarna tablets. Vol.1. Toronto 1939. Pp57: 63, No,15 and 16.

[٢١] ثروت عكاشة: تاريخ الفن العراقي القديم، ص٢٦.

[٢٢] داود سلمان عبد علي: تاريخ العلاقات المصرية، ص٤٥.

[٢٣] ARAB, vol2, para240, p119.

[٢٤] سفر الملوك الثاني: الاصحاح ١٨، الآيات ١٩: ٢٠.

[٢٥] سليم حسن: مصر القديمة، ج١١، ص ٤٩٨: ٥٠٣.

[٢٦] احمد امين سليم: دراسات في تاريخ وحضارات الشرق الأدنى القديم، ص٢٨٠: ٢٨١.

[٢٧] ANET, P,. 290 ., ARAB, vol2, para580, p226: 227.

[٢٨] عبدالعزيز صالح: الشرق الأدنى القديم، ص٤٢٨: ٤٢٩.

[٢٩] ARAB, vol2, Para 771, p.293: 294.

[٣٠] احمد امين سليم: دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص ١٩٥.

[٣١] ARAB, vol2, Para.778, P.296

* بسماتيك الأول: أحد ملوك مصر من الأسرة السادسة والعشرين، وكان تابع للآشوريين في حكم مصر، وصادف هذا الملك انهيار الإمبراطورية الآشورية وتدمير نينوى، فاستطاع أن يؤسس حكما ازدهرت فيه المملكة المصرية، وقويت ووسع سلطانها إلى مصر العليا ولم يكد مضي على حكمه عشر سنين، وقد ظل مخلصا للآشوريين حتى أنه أرسل جيشا في أواخر حكمه لمساعدة الآشوريين في دفاعهم ضد الماذين والبابليين. راجع: طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج٢، ص٨٢.

[٣٢] احمد امين سليم: دراسات في تاريخ الشرق، ص١٩٩.

[٣٣] عامر سليمان: العلاقات السياسية الخارجية "حضارة العراق"، ج٢، ١٩٨٥م، ص١٥٠.

[٣٤] يانوسكا: بعض القضايا الاقتصادية في امبراطورية آشور "العراق القديم دراسة تحليلية لأحواله الاقتصادية والاجتماعية، لمجموعة من علماء السوفيت، ترجمة: سليم طه التكريتي، بغداد، ١٩٨٦، ص٣٨٧.

[٣٥] رضا الهاشمي: التجارة "حضارة العراق"، ص٢١٣.

[٣٦] هاري ساكز: قوة آشور، ترجمة: عامر سليمان، بغداد ١٩٩٩م، ص٧١: ١٥٠.

[٣٧] صفوان سامي جاسم: التجارة في بلاد آشور خلال الألف الأول قبل الميلاد في ضوء النصوص المسمارية، أطروحة دكتوراه، جامعة الموصل، ٢٠٠٦م، ص٣٠: ٣١.

[٣٨] احمد امين سليم: دراسات في تاريخ وحضارات الشرق الأدنى القديم "تاريخ العراق وإيران وآسيا الصغرى"، ص٢٨٨.

[٣٩] Olmasted, A, History of Palastine and Syria, New York, 1931, P.508.

[٤٠] Grayson, A, K, Assyrian and Babylonian Chronicle, p.101.

[٤١] عبدالحميد زايد: الشرق الخالد، ص٥٨٩.

* ليديا: تقع في غرب بلاد الأناضول إلى الشرق من بحر إيجة، راجع: سامي الاحمد ورضا الهاشمي: تاريخ الشرق الأدنى القديم، بغداد، ص٣٥٩.

[٤٢] مارغريت روتن، تاريخ بابل، ترجمة: زينة عازار وميشال ابن فاضل، لبنان، ١٩٧٥م، ص١٦٦: ١٦٧.

[٤٣] احمد حبيب الفتلاوي: العلاقات البابلية المصرية في العصر البابلي الحديث، مرجع سابق، ص٣٢٨.

[٤٤] رضا الهاشمي: التجارة "موسوعة حضارة العراق"، ص٢٠٤.

[٤٥] حسن محمد السعدي: في تاريخ الشرق الأدنى القديم، ج٢، ص١٤٦.

[٤٦] سامي سعيد الأحمد: التجارة "موسوعة الموصل الحضارية"، مج١، ص١٩٤: ١٩٥.

* تل العمارنة: تقع على الضفة الشرقية للنيل، عثر فيها على الأرشيف المحتوي على المراسلات المتبادلة بين الملوك المصريين والممالك التابعة لهم في الشرق(سورية، بابل، قبرص...الخ) وهذه المراسلات كتبت بالخط المسماري، والتي أدت لتكوين فكرة واضحة عن تاريخ منطقة الشرق الأدنى القديم خلال النصف الأول من القرن الرابع عشر قبل الميلاد، راجع: هنري س عبود: معجم الحضارات السامية، ط٢، لبنان، منشورات جروس برس، ١٩٩١م، ص٦١٦.

[٤٧] فاضل عبدالواحد علي: حضارة العراق "الأدب"، ص٣٢٥.

[٤٨] صباح جاسم حمادي خليل: أثر أدب بلاد الرافدين في الآداب العالمية القديمة، مجلة الأستاذ، العدد الخاص بالمؤتمر العلمي الثالث لسنة ٢٠١٥م- ١٤٣٦هـ، جامعة بغداد، كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية، ص٢٠٢.

[٤٩] عامر سليمان: حضارة العراق"العلاقات السياسية الخارجية"، ج٢، ص١٣٤.

[٥٠] هنري فرانكفورت: فجر الحضارة في الشرق الأدنى، ترجمة: ميخائيل خوري، منشورات دار الحياة، بيروت، ١٩٥٩م، ص١٢٨.

[٥١] سامي سعيد الأحمد: التجارة "موسوعة الموصل الحضارية"، مج١، ص١٩٥.

[٥٢] محمد ابوالمحاسن عصفور: حضارات الشرق الأدنى القديم، ص٢٥٧.

[٥٣] محمد ابوالمحاسن عصفور: علاقات مصر بالشرق الأدنى من أقدم العصور إلى الفتح اليوناني، ص٦٧.

[٥٤] اندريه بارو: بلاد آشور نينوى بابل، ص١٣٤.

[٥٥] احمد امين سليم: دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص٤٢: ٤٣.

[٥٦] احمد فخري: الشرق القديم، ص٢٦.

[٥٧] صبحي أنور رشيد: تاريخ الآلات الموسيقية في العراق القديم، المؤسسة التجارية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٠م، ص٧٦: ٩٥.

[٥٨] صبحي أنور رشيد: دراسة آثارية مقارنة لتاريخ الآلات الموسيقية في مصر والعراق القديم، مج٣٣، ص١٠.

* الكِنارة: يرجع اصل اسمها إلى الاسم البابلي كناروم(Kinnarum) الذي ورد في الكتابات المسمارية من العصر البابلي القديم، وانتقلت هذه التسمية البابلية إلى اللغة العبرية والارامية بصيغة (كنور) وإلى اللغة المصرية القديمة بصيغة (كنر). راجع: صبحي أنور رشيد: دراسة آثارية مقارنة لتاريخ الآلات الموسيقية في مصر والعراق القديم، مج٣٣، ص١١.

* الجَنك: يسمى في الكتب العربية القديمة والحديثة بالكلمة الفارسية جنك (بفتح الجيم وسكون النون) للدلالة على الآلة الوترية التي تسمى في الإنجليزية (harp) وفي الألمانية (harfe)، وظهرت لأول مرة في بلاد النهرين منذ عصر الوركاء حوالي ٣٠٠٠ق.م وفي مصر يرجع تاريخها إلى عصر الأسرة الرابعة حوالي (٢٧٢٣- ٢٥٦٣ق.م)، وأول شكل لآلة الجنك هو الجنك المنحني أو المقوس، وهو النوع الذي أجمع علماء الموسيقى بأنه قد تطور من قوس الرماية. راجع: صبحي أنور رشيد: دراسة آثارية مقارنة لتاريخ الآلات الموسيقية في مصر والعراق القديم، مج٣٣، ص١٢.

[٥٩] صبحي رشيد: دراسة ، ص١٣.

[٦٠] هاري ساكز: قوة آشور، ص١٧٧.

قائمة المصادر والمراجع

أولا المصادر والمراجع العربية والمعربة:

العهد القديم

احمد امين سليم: دراسات في تاريخ وحضارات الشرق الأدنى القديم "تاريخ العراق وإيران وآسيا الصغرى"، مج١، ط١، دار المعرفة الجامعية، ٢٠١٥م.

احمد فخري: مصر الفرعونية موجز تاريخ مصر منذ أقدم العصور حتى عام ٣٣٢ قبل الميلاد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٢م.

اندريه بارو: بلاد آشور ، ترجمة: عيسى سلمان وسليم طه التكريتي، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠م.

ثروت عكاشة: تاريخ الفن العراقي القديم،.

حسن محمد السعدي: في تاريخ الشرق الأدنى القديم، ج٢، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٥م.

رضا الهاشمي: التجارة "موسوعة حضارة العراق"، ج٢، بغداد، ١٩٨٥م.

رمضان عبده علي: تاريخ الشرق الأدنى القديم منذ فجر التاريخ حتى مجيء حملة الإسكندر الأكبر "الأناضول وبلاد الشام"، ج٢، ط١، دار نهضة الشرق، يناير ٢٠٠٢م.

سامي الاحمد ورضا الهاشمي: تاريخ الشرق الأدنى القديم، بغداد،.

سامي سعيد الأحمد: التجارة "موسوعة الموصل الحضارية"، مج١، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ط١، ١٩٩١م.

سليم حسن: موسوعة مصر القديمة، ج٤،.

سليم حسن: موسوعة مصر القديمة، ج١١، .

سليمان حزين: البيئة والإنسان والحضارة في وادي النيل مقال في مجلد تاريخ الحضارة المصرية، العصر الفرعوني، مكتبة النهضة المصرية.

سيريل الدريد: الحضارة المصرية القديمة من عصور ما قبل التاريخ حتى نهاية الدولة القديمة، ترجمة وتحقيق: مختار السويفي، ط٢، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٢م.

صبحي أنور رشيد: تاريخ الآلات الموسيقية في العراق القديم، المؤسسة التجارية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٠م.

طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات، ج١، ج٢، ط١، لندن، ٢٠٠٩م.

عامر سليمان: العلاقات السياسية الخارجية "حضارة العراق"، ج٢، ١٩٨٥م.

عبدالحليم نورالدين: فضل الحضارة المصرية على حضارات العالم، محاضرة من مجموعة محاضرات.

عبدالحميد زايد: مصر الخالدة، القاهرة، ١٩٦٦م.

عبدالعزيز صالح: الشرق الأدنى القديم، ج١ (مصر والعراق)، القاهرة، ١٩٩٩م.

فاضل عبدالواحد علي: حضارة العراق "الأدب"، ج١، ١٩٨٥م.

مارغريت روتن: تاريخ بابل، ترجمة: زينة عازار وميشال ابن فاضل، لبنان، ١٩٧٥م.

محمد ابوالمحاسن عصفور: معالم حضارات الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية، ١٩٨٧م.

محمد ابوالمحاسن عصفور: علاقات مصر بالشرق الأدنى من أقدم العصور إلى الفتح اليوناني، .

هاري ساكز: قوة آشور، ترجمة: عامر سليمان، بغداد ١٩٩٩م.

هنري برستد: تاريخ مصر من أقدم العصور حتى الفتح الفارسي،.

هنري س عبود: معجم الحضارات السامية، ط٢، لبنان، منشورات جروس برس، ١٩٩١م.

هنري فرانكفورت: فجر الحضارة في الشرق الأدنى، ترجمة: ميخائيل خوري، منشورات دار الحياة، بيروت، ١٩٥٩م.

يانوسكا: بعض القضايا الاقتصادية في امبراطورية آشور "العراق القديم دراسة تحليلية لأحواله الاقتصادية والاجتماعية، لمجموعة من علماء السوفيت، ترجمة: سليم طه التكريتي، بغداد، ١٩٨٦م.

ثانيا: المراجع الأجنبية:

Adamson. P, B The possibility of sea trade between Mesopotamia and Egypt during the late predynastic period, Aula Orientals. Vol. x. spain. 1992.

Grayson, A, K, Assyrian and Babylonian Chronicle, p.101.

Luckenbill, D., Ancient Recordes of Assyria and Babylonia, Vol.1, vol.2, university of Chicago press, 1962, (ARAB).

Olmasted, A, History of Palastine and Syria, New York, 1931.

S, A, B, Mercer,. Tell ElAmarna tablets. Vol.1. Toronto 1939.

ثالثا: الرسائل والدوريات:

أبوبكر مريقي: العوامل المؤثرة في العمارة في الحضارة المصرية القديمة، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، عدد٦، اكتوبر ٢٠١٧م.

احمد حبيب الفتلاوي: العلاقات البابلية المصرية في العصر البابلي الحديث (٦٢٦- ٥٣٩ق.م)، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، مج٢، عدد١، ٢٠١٢م.

صباح جاسم حمادي خليل: أثر أدب بلاد الرافدين في الآداب العالمية القديمة، مجلة الأستاذ، العدد الخاص بالمؤتمر العلمي الثالث لسنة ٢٠١٥م- ١٤٣٦هـ، جامعة بغداد، كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية.

صبحي أنور رشيد: دراسة آثارية مقارنة لتاريخ الآلات الموسيقية في مصر والعراق القديم، مج٣٣.

وسناء حسون يونس: أهم الخصائص الجغرافية لمصر القديم، مجلة تكريت للعلوم الإنسانية، مج١٨، عدد، أكتوبر ٢٠١٠م.

صفوان سامي جاسم: التجارة في بلاد آشور خلال الألف الأول قبل الميلاد في ضوء النصوص المسمارية، أطروحة دكتوراه، جامعة الموصل، ٢٠٠٦م.